سلسلة الدين النصيحة

وبالوالدين إحساناً

تأليف

سيد مبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمد عباده الشاكرين الذاكرين ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد...

فإني أستعين بالله تعالى وأستهديه ، وهو العزيز الحميد ، الهادي إلى الصراط المستقيم وأقدم بين يدي

ويقينا من الفتن التي تحيط بنا وأن نعود إلى جوهر ديننا الذي يدعونا إلى الإحسان إلى الوالدين وبرهما في نفس الوقت الذي يدعو الوالدين إلى حسن تربية الأبناء لأن الجزاء من جنس العمل والله المستعان .

وكتبه سيد مبارك (أبو بلال)

٢٤ من ربيع الأول – ١٤٢١ هـ .

الموافق ٢٧ / ٦ / ٢٠٠٠ م

❊ ❊ ❊

عقوق وجحود

أخي القارئ .. لنبدأ حديثنا ونصيحتنا بسؤال لا بد منه ..

لماذا هذا الجحود والعقوق من الأبناء نحو الوالدين ؟

- فهذا ابن عاق يلقي على وجه أبيه العجوز ماء النار لأنه منعه من مخالطة رفقاء السوء وحدث هذا في باب الشعرية .

- وذاك يضرب أمه ويطردها من شقتها ولم يرحم شيخوختها ليرضى زوجته التي عماها الحقد لوجودها معهما فحرضت زوجها بافتعال الأسباب مشاركة زوجها في جحوده وعقوقه .

- وهذه ابنة تشترك مع عشيقها في قتل أمها بتسهيل

الدروس الخصوصية التي تفترس ميزانية أي بيت وتجعل أعزة أهلها أذلة أضف إلى ذلك مصاريف البيت لزوم المأكل والمشروب والملبس وخلافه مما جعل الأب يلهث ويعمل صباحًا ومساءًا فيعود إلى البيت مرهقًا ، وبالتالي يهمل توجيه الأبناء وإرشادهم والاستماع إلى مشاكلهم .

٢ - خروج الأم إلى العمل لمساعدة الزوج في نفقات البيت أو للتسلية وقتل الوقت ، أو للتشدق بالمساواة والحرية المزعومة تاركة مسئولياتها الطبيعية ، والفطرية في رعاية الأولاد ، ونتج عن غياب الوالدين أن الأولاد لم يجدوا من يرشدهم إلى الصواب فوقعوا فريسة سهلة للأفكار المتطرفة ، والتنطع والغلو لقلة خبراتهم وتجاربهم في الحياة .

٣ - الكم الرهيب من أفلام الجنس والعنف والجريمة التي يراها الأبناء دون حسيب أو رقيب عن طريق جهاز

التلفاز الذى يتحفنا بكل شاذ وغريب ومدمر للقيم والأخلاق وقنوات الدش وأشرطة الفيديو . . إلخ . مما أثار غرائزهم وشهواتهم وفتح لهم الباب على مصراعيه للفساد والإفساد .

٤ - رفقاء السوء الذين يختلط بهم الأبناء دون حسيب أو رقيب لانشغال الآباء والأمهات بأعمالهم مما أدى لانحراف الأبناء وإلى مجاراتهم في ممارسة الرذيلة وإدمان المخدرات إلا من رحم ربك .

ومن ثم يتبين أن لكل هذه الأسباب وغيرها نتج عنها إفراز طبيعي لكل ما نراه من الأبناء من عقوق وجحود للوالدين ، والعلاج لن يكون إلا بقطع دابر هذه الأسباب مجتمعة من جذورها بلا هوادة أو كلل .

وهذا يجعلنا نتساءل مرة ثالثة . . كيف السبيل إلى إصلاح ما فات وما هو آت ؟

الجواب : أن من عظمة الإسلام وتعاليمه السامية أنه فيه الدواء لكل داء بشرط أنْ نأخذ بتوجيهاته ونعمل بتعاليمه منذ البداية ، لا بعد أن تقع الفاس في الرأس تتساءل في حيرة وألم ما الحل وما العلاج ؟ ! .

* هذا والقرآن والسنة النبوية الصحيحة طافحان بما يثرى العلاقة بين الوالدين وأبنائهم بالبر والإحسان والمحبة والإيثار فضلاً عن الثواب العظيم للوالدين في حسن تربية الأبناء وللأبناء في برهما والإحسان إليهما .

ولكل شيء بداية ولنبدأ من البداية والله المستعان .

* * *

القارئ المسلم الجزء الخامس من كتابي « **سلسلة الدين النصيحة** » وهي بعنوان « **وبالوالدين إحسانًا** » .

وهي نصيحة على درجة عظيمة من الأهمية في هذه الأيام التي صار فيها العقوق سمة غالبة على تصرفات الأبناء تجاه الوالدين جاحدين لفضلهما وكدهما ، وهذا أمر ينذر بانحطاط الأخلاق إن لم يدرك الأبناء خطورة ما يقدمون عليه من عقوق وجحود .

وهذه الرسالة دعوة إلى الأبناء إلى بر الوالدين والإحسان إليهما لعظيم حقهما ، وهي أيضًا دعوة ورسالة تحذير للوالدين بإعادة النظر في أسلوب تربية وتوجيه وإرشاد الأبناء بتقاليد وعادات عفا عليها الزمن وتخالف تعاليم الكتاب والسنة .

وأسأل الله تعالى أن ينزع كيد الشيطان من قلوب الآباء ، والأمهات وفلذات أكبادهم ، وأن يكشف الغمة

وبالوالدين إحسانًا

إن في القرآن والسنة ترهيب شديد لمن يعق أباه أو أمه لو بكلمة (أف) فما بالك بما هو أكثر من ذلك !!

قال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء : ٢٣ - ٢٤]

نعم أخي القارئ ...

بالوالدين إحسانًا ...

وبالوالدين رحمة وحنانًا

وللوالدين سمعًا وطاعة ..

ورعاية وإنفاقًا ..

إنها وصية ربانية لا تتغير ولا تتبدل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي أيضًا وصية النبي ﷺ ففي الحديث الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى .

فقال ﷺ : « **وهل لك من والديك أحد حي ؟** » .

قال : نعم . . بل كلاهما .

قال ﷺ : « **فتبتغي الأجر من الله تعالى** » .

قال الرجل : نعم .

قال ﷺ : « **فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما** »[1]

---

(١) أخرجه البخاري (١٠ / ٥٩٧٢/ فتح) ومسلم (٤/ بر/ ١٩٧٥/٦) .

الله أكبر .. وصلت عظمة الإسلام أن جعل بر الوالدين والإحسان إليهما يعادل أجر الجهاد في سبيل الله بل إن بعض الأحاديث فضلت بر الوالدين على الجهاد كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال : « **الصلاة على وقتها** » قلت: ثم أي ؟.. قال ﷺ : « **بر الوالدين** ». قلت : ثم أي ؟ .. قال : « **الجهاد في سبيل الله** »[1] .

- ومن ثم يتبين لك أخي القارئ - أن الإسلام قد أحسن تكريم الوالدين بما لا يدع مجالاً لحاقد أن يقول شيئًا، فضلاً عن السيرة العطرة للرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين خير القرون الثلاثة كما أخبرنا النبي ﷺ فيها الكثير من العبر والمواقف التي تحث على بر الوالدين والإحسان إليهما مما جعل أعداء الإسلام يحسدوننا

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٧/ فتح) ومسلم (١/ إيمان/ ٨٩/ ١٣٧) .

لعظمة ديننا وتعاليمه التي يتجاهلها عن عمد وسوء نية بعض المتسبين إليه اسمًا لا عملاً وقولاً ، وهم يدعون إلى التحلل الأسرى لأغراض وأهداف خبيثة ويدسون على تعاليمنا وديننا ما لم ينزل الله به من سلطان .

فهذا « عيد الأم » ابتدعوه وجملوه وزينوه وعملوا المسابقات لاختيار الأم المثالية وقالوا فيه وعنه ما قالوا فأي شيء يريد هؤلاء ؟! إننا لا نحارب « عيد الأم » ولا نقول إنه بدعة ، بل إن الإسلام يدعونا إلى أن نجعل أيام الأم كلها أعياد وأفراح وسعادة ، والتفاف الأبناء بها .

والأحاديث الصحيحة تحث على هذا . .

- من ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » قال ثم من . قال : « أمك » قال ثم من قال : « أمك » قال ثم من :

قال : « أبوك »[١] .

– من ذلك ما روى عن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت أن أغزو ، وقد جئت أستشيرك ؟ فقال : « هل لك من أم ؟ » قال : نعم. قال : « فالزمها ، فإن الجنة عند رجلها »[٢] .

أقول إن « عيد الأم » ليس هو المشكلة وإنما نحن نرفض بنصوص الأحاديث أن يخصص البعض يومًا واحدًا في السنة للاحتفال بالأم ويدعون الناس إلى ذلك والله تعالى ورسوله يدعونا كمسلمين إلى برهما والإحسان إليهما مدى الحياة وبعد موتها .

أنه عيد ابتدعته وأوجدته وحثت عليه المجتمعات الأوربية لأنهم يعيشون تفككًا أسريًا وانحلالاً خلقيًا وترك

---

(١) أخرجه البخارى (١٠ / ٥٩٧١/ فتح) ومسلم (٤/ بر/ ١٩٧٤/ ٢٥٤٨).

(٢) حديث حسن صحيح : انظر صحيح سنن النسائى (٢٩٠٨) .

الأبناء لآبائهم وأمهاتهم فجعلوا يومًا للأم كي يذكروهم بفضلها عليهم . . فهل نحن في حاجة إلى هذا ؟ هذا هو السؤال والإجابة فيما سبق أن ذكرناه من آيات وأحاديث ولله الحمد والمنة .

– وها هو ابن عباس رضي الله عنهما وهو حبر هذه الأمة يقول : (أنزل الله تعالى ثلاث آيات مقرونة بثلاث لا يقبل الله واحدة بغير قرينتها أولاهما : قوله تعالى : ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ [البقرة : ٤٣] .

فمن صلى ولم يؤت الزكاة فلن يقبل منه .

والثانية : قوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول ﴾

[آل عمران : ١٣٠] . فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

والثالثة : قوله تعالى : ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾

[لقمان : ١٤] .

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

- وذاك سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لو علم كلمة في العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل البار ما يشاء أن يعمل فلن يدخل النار ، وليعمل العاق ما يشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة .

- وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً جاءه وقال : إن لي أما بلغ بها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية ، فهل أديت حقها ، قال : لا . . كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى موتها .

- وروي أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر أتراني جازيتها ؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً .

- وروي أن رجلاً من الصالحين يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يومًا على إخوته فسألوه .

فقال : كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات .

والصور من ذلك كثيرة ما يضيق بها المقام تأمر وتحث على الإحسان إلى الوالدين بكل الوسائل وخصوصًا الأم لعظيم حقها على الأبناء .

- ولله در القائل .

لأمك حق لو علمت كثيرا

كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي

لها من جواها أنة وزفير

وفي الوضع لو ترى عليها مشقة

فمن غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك بما تشتكيه بنفسها
ومن ثديها شراب لديك غير
وكم مرة جاعت وأعطتك
حنانًا وإشفاقًا وأنت صغير
وآها لذي عقل ويتبع الهوى
وآها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغبْ في عميم دعائها
فأنت لما تدعو إليه فقير

***

* حقوق الوالدين :-

إن للوالدين حقوقًا يلزم الأبناء بأدائها وإهمالها عقوق وجحود منهم وإجحاف لحقهما وفضلهما عليهم ، والحقوق كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ..

* ١ - السمع والطاعة لهما ما لم يكن في معصية الله تعالى : -

هذا هو الحق الأول السمع والطاعة وليدرك الأبناء أن طاعتهما في المعروف سببًا لرضا الله عنهم ودخولهم الجنة ، وعقوقهما والتأفف عندهما سببًا لسخط الله ودخول النار والعياذ بالله .

وفي الحديث الصحيح قال ﷺ : « **رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين** »[1] .

وقد يحدث أحيانًا أن يشذ بعض الآباء والأمهات عن

---

(١) الحديث صحيح : انظر صحيح سنن الترمذى (١٥٤٩) .

الدين فيأمران أبنائهما بمعصية الخالق سبحانه بقصد أو بدون قصد لجهل بالدين وأحكامه وحلاله وحرامه ، وهنا يجب أن يستخدم الأبناء آداب الحوار معهم بكل لطف وأناة ودبلوماسية في إقناعهم بحرمة ما يطلبونه منهم فإن لم يفلحوا في ذلك فليس في طاعتهم خير لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وهذا لا يمنع أبدًا من برهم والإحسان إليهم مهما ظلموا أولادهم وظلموا أنفسهم .

* أقول ليتعلم الأبناء آداب الحوار وخصوصًا أصحاب المؤهلات الذين شقي وتعب آبائهم وأمهاتهم في تربيتهم ورعايتهم حتى صاروا إلى ما هم عليه وعند أول بادرة إذا بألسنتهم كالسيف المسلول يتحدثون معهم بكل تصلف وغرور وبجاحة وقلة أدب بأنهم أدرى بمصالحهم الشخصية منهم وأنهم أي الآباء والأمهات أميين ، ولا علم عندهم . . إلخ ولهم في ذلك سيدنا إبراهيم عليه وعلى

نبينا الصلاة والسلام قدوة حسنة في آداب الحوار مع الآباء والأمهات .

وتأمل معي هذا الحوار القرآني وكيف دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة ؟ !

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : -

﴿ **يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًا** ﴾ [مريم ٤٣] .

فماذا كان رد الفعل للأب الجاحد قال تعالى على لسانه :

﴿ **أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليًا** ﴾ [مريم ٤٦] .

ماذا فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه بعد هذا التهديد ؟ هل سبه وضربه ؟ هل أساء إليه وجرح مشاعره وأنكر وجحد بفضله عليه ؟ . . أبدًا وإنما قال قول الله

تعالى : ﴿ سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًا﴾ [مريم : ٤٧] .

هكذا تكون آداب الحوار مع الوالدين وعدم طاعتهما في معصية الخالق عز وجل وأهدى للجميع الآباء والأمهات والأبناء هذه القصة من السيرة العطرة لسيدنا سعد بن أبي وقاص عندما أسلم لتكون عبرة وعظة تنشرح لها القلوب وتنجلي فيها الغيوم وتصفو بها النفوس من شوائب الحقد والأنانية ومعصية الله ورسوله إلى المحبة والإيثار والفداء بالنفس طاعة لله ولرسوله ﷺ .

– كان سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بارًا بأمه محبًا لها ، وما إن سمعت بإسلامه حتى ثارت ثائرتها فأقبلت عليه تقول : يا سعد والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فنفطر (أي يتشقق) فؤادك حزنًا على ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت ويعيرك

٢ – خدمتهما ورعايتهما وخفض جناح الذل لهما :

اعلم أخي القارئ : يجب أن تكون طلبات الوالدين مجابة ، وخدمتهما ورعايتهما بالجهد والمال أمر لا يتركه إلا عاق وجاحد ، وحذاري أن تفضل ولد أو زوجة عنهما ، أو تتكبر وتسيء معاملتهما ، وأنصح نفسي وإخواني خصوصًا هذا الجيل من الأبناء السوبر الذي يلوح الواحد منهم بيديه لوالديه وربما يتعرض لهما بالإهانة والضرب .

أما يخشى الله وسخطه عليه ؟!

أما يخاف غضبه وبطشه وانتقامه ؟!

ألم أقل أنهم أبناء سوبر يخافون الناس ولا يخافون من رب الناس ، ترى ماذا يقول الواحد منهم لله جل وعلا يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ [الحشر : ١٨] .

– وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت على أمي، وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت أمي، وهي راغبة؟ أفأصل أمي؟ قال: « **نعم صلى أمك** »[1].

– ومعنى « راغبة »: أي طامعة فيما عندي تسألني الإحسان إليها. تأمل هذا الحديث أخي القارئ جيداً، وتدبر ما فيه – أسماء رضي الله عنها تأتيها أمها وهي على الشرك تطلب مساعدتها والإحسان إليها من ابنتها فتسأل النبي ﷺ فيأمرها بأن تصلها بالبر والإحسان فما بالك وآباءنا وأمهاتنا على دين التوحيد لله رب العالمين!!

لماذا هذا التقصير، وهذا العقوق والجحود؟

أخي القارئ... لا أريد أن يمر الحديث عن هذا الحق دون أن أسجل قصة من الواقع الذي نعيش فيه لتدرك

---

(١) أخرجه البخاري (٥ / ٢٦٢٠ / فتح) ومسلم (٢/ زكاة/ ٦٩٦/ ٥٠).

بنفسك مدى الإهمال والإجحاف من الأبناء لوالديهم ، والقصة نشرتها جريدة الأهرام في عددها بتاريخ ٢٧ - مايو - ٢٠٠٠ في تحقيق الأستاذ / عزت السعدني عن « حكاية أم اسمها حفيظة » وذلك لأمرين : -

الأمر الأول : أن تظل القصة حية في قلوب وعقول الجميع ولا ينساها أحد لأن الجريدة وفيها التحقيق والقصة سوف تختفي مع مرور الوقت في طي النسيان أما هذا الجزء سوف يكون محفوظًا إن شاء الله عند من اشتراه وقرأه.

الأمر الثاني : أن تكون هذه القصة عبرة وعظة لمن تسول له نفسه أن يرتكب هذا الاهمال والجحود تجاه أمه ويصلح الأمر قبل أن يتنزل عليه غضب الجبار سبحانه وتعالى .

هذا وقد حذفت من القصة الأسئلة التي تقطع

استرسال الأم في حديثها وجعلت الحديث متصل على لسانها حتى لا أقطع الأحداث عن القارئ وقد أضفت عبارات يسيرة لربط الأحداث وجعلتها بين قوسين ليدرك القارئ أنها من عندي . . والآن لنقرأ القصة .

* (قالت : كنا أسعد زوجين على وجه الأرض . . وكان هو رجل « ملو هدومه » قيمة وهيبة لم يكن له في هذه الدنيا إلا نحن ولم يكن لنا في هذه الدنيا إلا هو . . كان تاجرًا كبيرًا يملك محلات وعقارات وأطيانًا . . لا أحد يرد له كلمة ولا أحد يرفض له طلبًا . . كلامه أوامر . . وأوامره فرض . . ولكنه كان يعرف حق الله وحق الناس عطوفًا سخيًا على الفقراء والمساكين والذين يعملون معه . . يأكل معهم على مائدة واحدة ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم ، وأنجبنا خمسة من الأولاد . . ثلاثة بنين وبنتان كلهم تعلموا في أحسن المدارس وتخرجوا في

أحسن الجامعات .. كان عندنا ثلاث سيارات وثلاثة سائقين وسفرجية وطباخون وجيش من الخدم .. وكان بيتنا دومًا مفتوحًا للضيوف والأهل والأقارب .. عزوة ماحدش قدها .. ويارب الحال ده دام .. الأولاد الثلاثة تخرجوا في الجامعة .. وكلهم من كليات التجارة علشان يمسكوا تجارة أبوهم ويديروا أموال أبوهم ويتمرغوا في عز أبوهم .. واحد مسك مصنع .. واللي ركب الأرض واللي قعد في المحلات .. وأصبح كل واحد له شركة وعزبة مستقلة ، وابتدأت حرب الزوجات .. والراجل الكبير لسه عايش وبصحته .. كل واحدة أخذت راجل بيضة ومقشرة واستفردت بيه في شقتها وهات يا زن على الودان .. لازم أبوك يكتب لك المصنع باسمك - لازم أبوك يكتب المزرعة باسمك - لازم أبوك يكتب لك الشركة باسمك .. إنت حاتفضل طيب وعلى نياتك لحد إمتى ؟ !

الأولاد حكوا لي وقالوا إحنا كده كويسين عايشين والخير عامم على الجميع والبركة مالية الدار .. وموش عاوزين نزعل الراجل الكبير .. حاولت مع مراتات أولادي ما فيش فايدة .. كل واحدة بتقول اشمعنى فلان واشمعنى فلانة التركة تتقسم ! صرخت في وش اللي ما يتسموش : والراجل عايش ؟! قالوا : إحنا كمان عندنا أولاد عاوزين نضمن مستقبلهم ! .. (وعن موقف بناتها) قالت : ضربوا كف على كف ، ووقعوا مع زوجات إخواتهم وبقت قطيعة ما بيننا وبينهم .. وبقيت أنا وبناتي في كفة وزوجات أولادي الثلاثة في كفة ثانية .. لكن موش دي المشكلة .. المشكلة أن الراجل الكبير أخذ خبر باللي حصل .. ما استحملش الصدمة وقع من طوله .. جلطة شلل - كام شهر كده واتكل على اللي خلقه - يا دوب على الأربعين .. كانت التركة متقسمة كل واحد أخذ

نصيبه .. وأنا من طيبة قلبي واللا يمكن من عبطي كل ولد أو بنت عاوزني أتنازل له عن نصيبي أوافق وأمضي بحجة إن البيت بيتي ، وأنا قاعدة لوحدي في البيت الكبير .. الأولاد كل واحد في بيته والبنات كل واحدة جالها عدلها وراحت بيت جوزها ؟ (وتستطرد) .. البيت صفصف على أنا والشغالين والشغالات .. والبنات يزوروني مرة في الأسبوع .. بعد شوية أصبحت الزيارات في المواسم والأعياد بس ، وبعدين حتى التليفون أصيب بالخرس .. لم يعد يضرب ويرن كعادته طول النهار .. كما كان أيام الراجل الكبير الذي راح كمدًا وغمًا .

باختصار بصيت لقيت نفسي لوحدي في بيت كبير زي الربع ولا حد بيسأل ولا حد بيزور قلت أسأل أنا .. رحت أزور أولادي ما ارتحتش .. البوز شبرين والكلمة ورد غطاها (تقصد زوجات أولادها) قالت : رحت ..

في الأول أهلا يا حماتي .. نورت يا حماتي .. دول أجواز البنات بيقولوا .. وبعد يوم والثاني أو مرة والثانية.. لا مرحب ولا أهلاً .. قلت : اكفى يا حفيظة خيرك شرك واقعدي في دارك .. وفي يوم اتصل بي الأبناء الثلاثة بالتليفون وقالوا لي إحنا جايين نتغدى عندك النهاردة يا نينة عاوزين ناكل من إيديك الحلوة دي أكلة ملوخية بالأرانب مع دمعة حمرا ورز أبيض وحلة محشي كرنب محمر في السمنة البلدي .. فرحت وقلت حانتلم تاني.. قلت لهم : هاتوا جماعتكم والأولاد معاكم .. قالوا : لا إحنا جايين لوحدنا علشان نرجع أيام زمان .. قلت : يمكن عاوزين يفضفضوا بحاجة لي بعيد عن زوجاتهم ونكد ستاتهم .. لكن الفار لعب في عبي وقلت في نفسي : غريبة اشمعنى المرة دي؟! .. لكن مقابلتهم لي كانت تطول العمر .. بالأحضان والقبلات وحشتينا يا نينة (بدل

ماما أو أمي زمان كانت تقال في البيوت الكبيرة) . ما تزعليش مننا يا نينة . . إحنا مقصرين في حقك يا نينة . . سامحينا يا نينة . . (وتستطرد قائلة) . . ظهر المستخبي بعد ما أكلوا وشربوا وانبسطوا وقالوا لي إحنا عاوزين منك طلب صغير . . قلت لهم : هاتوا من الآخر ! قالوا : عاوزين البيت الكبير اللي أنت عايشة فيه ده حانعمله مجمع للشركات بتاعتنا . . فيه كل الأدوات حانهده ونبنيه من جديد . . قالت : أصابتني الصاعقة للخبر . . شهقت وقلت للثلاثة : وأنا أروح فين ؟ . . قالوا : عندنا . . كل واحد منا حايخصص لك في بيته حجرة وتبقى معززة مكرمة . . قلت لهم : لا . . أنا لا أعيش مع أحد . . موش ها حستريح (قالت) قال أصغرهم : طيب نشتري لك شقة صغيرة على قدك تقعدي فيها لوحدك ومصاريفك وأكلك وشربك ولبسك وعلاجك علينا إحنا الثلاثة . . ماذا

كان بوسعي أن أفعله إلا أن أقول لهم : حاضر .. ما فيش أيام جاءوا ومعهم شوية أوراق وقالوا لي إمضتك الكريمة هنا يا نينة .. ومضيت زي الشاطرة أو زي القطة المغمضة .. ودول أولادي ها يعملوا في حاجة وحشة . . . أبدًا ! .. وجه اليوم اللي قالوا لي فيه : يا للا يا نينة تعالى معانا علشان إحنا حا نهد البيت .. تاني يوم لقيت البلدوزرات والعمال دخلو على البيت علشان يهدوه .. رحت عند ابني الكبير لقيت أودة لي مجهزة وآخر تمام .. بعد العشاء قلت له يا بني سوشى إحنا اتفقنا على أنكم تشتروا لي شقة تمليك أقعد فيها لوحدي ؟ ! قال : جرى إيه يا نينة أنت لحقتي تزهقي مننا ولا إيه خليكي معانا شوية ! قعدت عنده شهر .. وكلامه زي ما هو : أنت عاوزة تسيبينا وتروحي فين بس يا نينة .. رحت عند أخوه نفس الموال .. سبته ورحت لآخر واحد .. نفس السؤال ... ونفس الجواب

زي ما يكون متفقين علَي! .

قلت للصغير الأمير : وبعدين يا ابني قال لي : طيب وأنا ادفع ثمن الشقي دي لوحدي .. لما فلان يدفع .. أروح لفلان يقول لي : لما فلان يدفع والثالث نفس الكلام .. قلت لهم يعني ما فيش شقة ؟

قالوا : حاتقعدي لوحدك إزاي وتعيشي منين ؟ خليكي قاعدة عند كل واحد منا شوية ! .. لميت هدومي ورحت عند بنتي الكبيرة .. شهر والثاني جوزها بقى موشى طايقني .. والأولاد قلوا أدبهم علي .. وبنتي قالت يا ماما روحي عند أختي كام شهر كده وبعدين تعالى ! .. رحت وياريتني ما رحت .. يخرجوا يتفسحوا ويسيبوني لكن بعد ما يقفلوا كل غرف الشقة ويسبولي أودة المعيشة بس ، وأقعد لوحدي آمام التليفزيون اللي ما أقدرش أفتحه إلا إذا فتحه واحد من البيت .. القصد .. ما

ارتاحتش لا عند أولادي ولا عند بناتي . . ولقيت ما فيش فايدة لازم أستحمل بقية عمري كله . . قلت أعيش عند ابني الكبير البوز بدل ما كان شبرًا واحدًا أصبح شبرين . . بوز مرات ابني طبعًا كل شئ بتعليمات اقعدي في أودتك بس . . ما فيش خروج إلا ساعة الأكل . . عاوزه حاجة تقوليها لي أنا ما تقوليهاش لابنك . . علشان ما اقعدش أتكلم معاه . المطبخ ما ليش دعوة بيه حتى الشاي والقهوة أطلبيهم مني . . وأنا لا كنت باطلب ولا أهبب . . قالت : سمعني (ابني) وأنا أبكى في حجرتي بالليل . . وقعد يبوس في ويطبطب علي ويقول سامحيني يا تينة أصل (مراته) عصبية حبتين . . أصل الأولاد مغلبينها ، والدنيا ضيقت خلقها . تقول : تحملت كل شيء من (زوجة ابني) إلا أن تمنعني من دخول الحمام الكبير . . وأن أدخل فقط حمام الخدامين سبت بيت ابني الكبير بعد ما عشت

سنة في ذلك الذل ، وذهبت إلى بيت ابني الثاني ، والبوز بدل ما كان شبرين عند زوجة ابني الكبير .. أصبح هنا أربعة أشبار .. بعد شهر واحد كنت أعيش وسط الأسرة أكل وشرب وكلام وحديث بدأت محطة التعليمات والمحاذير تقدم برامجها الموجهة إلى وحدي .. الكلام في التليفون ممنوع .. مكالمة واحدة بس في اليوم كله . وقدامنا كلنا علشان نسمع بتقولي إيه . لاحسن أكلم ابني من وراها وأفضفض له . التليفزيون ما افتحوش أنا لازم هي اللي تفتحه بنفسها على المحطة اللي بتعجبها هي وأنا أتفرج وبس .. هدومي أنا أغسلها بنفسي وما تتحطش في الغسالة الفول أوتوماتيك مع هدوم الهانم والعيال .. يعني اقعد على الطشت بتاع زمان وأغسل هدومي بنفسي ولما قلت طيب الشغالة تغسلها .. قالت : الشغالة سوشى فاضية ، الفطار والعشاء في حجرتي لوحدي أما الغداء

علشان ابني موجود باكل معاهم ، يخرجوا يدخلوا يسافروا ييجوا ما ليش دعوة طول الوقت قاعدة في البيت إلا في الصيف أروح معاهم المصيف ونفس التعليمات تطبق على هناك .

قالت : استحملت .. حتى كان يوم قال لي أصغر أبنائها الذي لم يتجاوز السادسة من عمره في وجهي : هو أنت هاتموتي إمتي يا تينة وتريحنا ؟ ! ولما سألته : مين قال لك كده يا حبيبي ؟ قال : ماما !

وأحسست أني شخص غير مرغوب فيه ، سبت البيت وأنا مقهورة ورحت عند ابني الصغير الذي نال قسطًا وافرًا من حناني وحبي .. قابلوني في أهلاً وسهلاً وبعد ثلاثة شهور ونحن في أحسن حال واعتقدت أن الدنيا بدأت تبتسم لي عندما أخبرني ابني ونحن نتناول العشاء معًا في إحدى الليالي أنني سأبقى معهم على طول .. من ليلتها

والحال اتشقلب رأسًا على عقب .. بدأت معاملة مرات ابني تتغير خالص .. ما فيش كلام .. الرد على القد كلمة ونص .. أسألها على حاجة ما تجاوبش .. التكشير على طول صبح ومسا .. التليفونات بدأت تشتغل بين الزوجات .. وأسمع عبارات مثل : دي حاتقعد عندي على طول .. اشمعني أنا يعني .. دي عاوزة تتخدم وتتستت زي ما كانت في بيت الراجل الكبير .. وسمعت لأول مرة عبارة : ما تودوها بيت المسنين أحسن !! . وبدأ حزب الزوجات يتحرك بمساندة حزب الأمهات . أمهات الزوجات طبعًا . وبدأت المنشورات تظهر والتعليمات تتوالى : خليكي في حجرتك .. لا تخرجي منها إلا ساعة الطعام .. لما يكون فيه ضيوف في البيت أقعدي في أودتك ما تخرجيش منها .. استخدام التليفون بإذن من الهانم طبعًا زوجة ابني .. ما فيش خروج معاهم إذا كانوا

معزومين عند حد ما فيش كلام مع الأولاد ولا حكايات .

وبدأ الأولاد يتغيرون من ناحيتي .. لم يعد أحد يقبلني كما كانوا يفعلون .. وبدأوا يردون علي بكلمات جافة وكأنني شغالة عندهم وليس ستهم ! .

لحد ما جاء يوم شاهدت بعيني زوجة ابني تضع طقم أسناني الذي لا آكل إلا به تحت قدميها وتهرسه في الأرض ليتحول إلى فتات .. ثم وضعته في سلة المهملات ! ولما سألتها عنه قالت : دوري عليه يمكن هنا ولا هناك ! أدركت تمامًا وبصمت بالعشرة أنني أصبحت شخصًا غير مرغوب فيه ، عند أولادي الثلاثة .. (وقد أخبرت ابنها بما حدث) وقالت : سمع لي كويس قوى وبعدين زعق شوية .. وبعدين سكت .. و(بررت ذلك) بأن كل ست لها طريقتها وممكن تأثر على الرجل .. ما دام بينام في حضنها آخر الليل !! .

(ثم بلعبة ماكرة من زوجة الابن وجدت نفسها عند ابنتها التي قالوا لها أنها تريدها عندها كام يوم واضح أنها لم تتصل ولم تطلبها ثم ذهبت لابنتها الثانية فتقول : رحت .. بيت مودرن خالص .. ناس بتوع نوادي وسهر وفنادق وسفر وشرب كمان وأنا باصلي الفرض وأصوم اتنين وخميس .. ما طقتش اقعد عندها شهر بحاله .. وطفشت من الإهمال وشقلبة الحال .. وقبل ما اسيب البيت قلت يا بنتي أنت واحدة ثانية موش بنتي اللي أنا ربتها ، وكان ردها أصلك يا ماما بقيتي دقة قديمة ! (وسألت البنت أمها حتروحي فين !) قالت : قلت لها حاروح عند حد من أولادي .. ولا أحسن أروح دار المسنين ! (وكان رد البنت بلا مبالاة) .. طيب يا ماما .. ابقى قولي لنا أنت حاتبقى فيه علشان نتصل بيكي بالتليفون. (تقول الأم) :خرجت ومشيت في الشوارع

ودموعي سايحة على خدي لحد ما الليل نزل والدنيا ضلمت.. ما درتش بنفسي وقعت من طولي وصحيت لقيت نفسي هنا في المستشفى دى (كانت في المستشفى تمسح البلاط وتعمل به) .. بعدما فقت قبلت ايد مدير المستشفى علشان يشغلني عنده أي شغلة .. ما فيش إلا الشغلة اللي أنا باشتغلها دلوقت .. وعلشان ما عنديش سكن سمحوا لي أبات هنا كمان .. ولما سألها (أ/ عزت السعدني) بقالك قد إيه ؟ قالت : قربت من سنة .

قال : وأولادك وبناتك .. قالت : كل واحد في حاله .. وكل واحد فاكر إني عند حد من الأولاد والبنات.

قال : ما حدش دور عليكي ؟ قالت : لا حد دور ولا حد سأل)[1] اهـ .

---

(١) تحقيق عزت السعدنى جريدة الأهرام / ٢٧ - مايو - ٢٠٠٠

أخي القارئ إلى هنا نتساءل ماذا حدث للأولاد السوبر الذين تربوا وتعلموا وفتحوا بيوتًا ثم تخلوا عمن أمرهم الله بتكريمهم والإحسان إليهم جزاءًا لما فعلوا .

لماذا هذا الظلم والعقوق والجحود ؟ !

أن هذه القصة وصمة عار في حياة هؤلاء الأبناء وكل ابن على شاكلتهم يعامل والديه نفس المعاملة ولا نملك إلا أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، ونذكر كل جاحد وعاق لوالديه بحديث النبي ﷺ الذي قال فيه : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** » قال الصحابة : بلى يا رسول الله ، قال : « **الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ..** »[1] متفق عليه .

الحق الثالث : الدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما والصدقة عليهما : -

وهذا أمر لا يجب أن ينساه الأبناء نحو آبائهم

---

(١) أخرجه البخارى (٥/ ٢٦٥٤ / فتح) ومسلم (١/ إيمان / ٩١ / ١٤٣) .

وأمهاتهم الدعاء والاستغفار لهما في الحياة وبعد الممات .

وليعلم المرء أن العلماء قالوا من لم يدع لأبيه وأمه بعد كل صلاة فقد عقهما ، والدعاء والاستغفار من أسهل العبادات التي لا تكلف المرء شيئًا .

– ولنا في ذلك سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قدوة حسنة فقد كان يحبها ويدعو لها رغم أنها كانت على الشرك والعياذ بالله ، ولندعه يخبرنا هو بذلك رضي الله عنه :

قال : (إن أمي كانت مشركة وإني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى علي فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فكانت تأبى علي وإني دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله عز وجل أن يهدي أم أبي هريرة فقال ﷺ :

«**اللهم اهد أم أبي هريرة**» ، فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء النبي ﷺ فلما أتيت الباب إذا هو مغلق ، وسمعت خضخضة الماء ، وسمعت رجل فقالت : يا أبا هريرة كما أنت . ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت : إني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله . فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أم أبي هريرة)[1] اهـ .

ولم ينتهي الأمر عند الدعاء وإسلام أمه بل إن سلوكه وحياته معها وبره بها زاد ولم يفتر فكان كلما أراد الخروج من البيت . . وقف على باب حجرتها .

وقال : السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته .

فتقول : وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته .

---

(١) انظر صفوة الصفوة / ١ لابن الجوزى .

فيقول : رحمك الله كما ربيتني صغيرًا .

فتقول : ورحمك الله كما بررتني كبيرًا . هذه هي عظمة الإسلام وهكذا يجب أن تكون العلاقة بين الأبناء والآباء والأمهات .

ولا تنسى الدعاء لهما بعد موتهما فإن الله تعالى يقول : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا** ﴾ .

[الإسراء : ٢٤] .

.. نعم ادع لهما أيها الابن وأيتها الابنة فإن من برهما الدعاء لهما بعد موتهما وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » (١) .

ودعاء الولد الصالح يصل إليهما ثوابه بل إن من

---

(١) أخرجه مسلم (٣ وصية / ١٢٥٥ / ح ١٤) .

رحمة الله تعالى أن كل عمل يفعله الابن يعود إلى أبيه لأن الله تعالى يقول :

﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ [النجم : ٣٩]

وهذه بشرى للمؤمنين لأن الأبناء من سعي الوالدين وبالتالي كل ما يفعله الأبناء من قراءة القرآن والصدقة والصيام والذكر وغير ذلك من أنواع البر سيكتب في ميزان حسنات الوالدين ولا ينقص من أجور الأبناء شيئًا .

فأي رحمة تلك التي يمن الله بها علينا ؟ وأي عظمة هو ديننا يحق لنا أن نفخر بما من الله به علينا من نعمة الإيمان والإسلام . فلا تنس أخي القارئ الدعاء والصدقة عن الوالدين فإنه من حقهما عليك بعد موتهما ثم تأمل هذا الحديث جيداً عن عائشة رضي الله عنها قالت : أن رجلاً قال للنبي ﷺ إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها من أجر إن تصدقت عنها ؟

قال : « نعم »[1] .

الحق الرابع : صلة الرحم التي لا رحم إلا من قبلهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما : -

وهذا الحق للأسف الشديد يجهله كثير من الأبناء إلا من رحم ربك مع أنه يندرج تحت بر الوالدين ، وهو فرصة عظيمة لمن مات والدية كليهما أو أحدهما وفاته برهما والإحسان إليهما أن يصلح ما فاته ويبرهما بعد موتهما بصلة الرحم التي لا رحم إلا من قبلهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وإليك تفصيل ذلك والله المستعان .

- اعلم أخي القارئ .. أن من بر الوالدين بعد موتهما صلة الرحم التي قطعناها لانشغالنا في الدنيا ، وإهمالنا لما يعود علينا في أخرانا ، ولو أدرك الأبناء ما في صلة الرحم من الثواب الجزيل من رب الأرض والسماء ما

(١) البخاري (٣/ ح١٣٨٨/ فتح) ومسلم (٢/ زكاة / ٦٩٦/ ٥١٤) .

تهاونوا في أدائها ، وما تغافلوا ، عنها بحجة الانهماك في العمل أو مشاكل الأولاد أو الدراسة . . وهلم جرا ، والسنة النبوية الصحيحة تحث بالترهيب تارة والترغيب تارة أخرى على صلة الرحم من ذلك : -

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال ﷺ :

«إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك» ، ثم قال رسول الله ﷺ : **«اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾** [محمد : ٢٢ - ٢٣] [(١)] متفق عليه .

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٨٣/ فتح) ومسلم (٤/ بر/ ١٦/١٩٨١)

وفي شرح هذا الحديث قال القاضي عياض : الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم ، وإنما قرابة ونسب ، تجمعه رحم والدة ، ويتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحمًا ، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن الاستعار ، على عادة العرب في استعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها ، وفضيلة واصليها ، وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم . لهذا سمى العقوق قطعًا والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل ، وقال : ويجوز أن يكون المراد قام ملك من الملائكة بالعرش وتكلم على لسانها بأمر الله تعالى . .)[1] اهـ .

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **ليس الواصل بالمكافئ ولكن**

---

(١) انظر شرح النووى (١٦ / ١١٢) .

الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[1] .

- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :

«الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله »[2] .

هذه بعض الأحاديث من كثير عن صلة الرحم وما في وصلها من بر الوالدين بعد موتهما ، وجاء في كتاب «اللباب في البر والصلة والآداب » ما نصه : -

(والرحم حق الأقارب الذين تجمعهم نسب واحد سواء كان بينهم توارث ، أم لا وسواء كان بينهم محرمية أم لا ، فيدخل فيهم الإخوة والأخوات ، والأعمام والعمات، وأولاد العم وبنات العم ، والأجداد والجدات وهكذا . . . وتأكد حقوق ذوي الرحم بتأكد القرابة والدنو من الإنسان

---

(١) أخرجه البخاري. ١٠/ ٥٩٩١/ فتح وأبو داود٢/ ١٦٩٧ والترمذي٤/ ١٩٠٨

(٢) أخرجه البخاري(١٠/ ٥٩٨٩/ فتح) ومسلم (٤/ بر١٩٨١/ ١٧)واللفظ له.

فحق الإخوان والأخوات مقدم على أبناء وبنات العم ، وأعمام الرجل مقدمون على أعمام أبيه وهكذا . وصلة الرحم نوع من بر الوالدين وذلك لأن الأقارب إنما يتصلون بالمرء عن طريق والديه .

فما وجب حق الإخوة والأخوات إلا لأنهم أولاد أمك وأبيك .

ولا وجب حق الخال والخالة إلا لأخوتهما للأم .

ولا وجب حق الأجداد والجدات إلا لأنهم أصولنا ونحن فروعهم وما نشأت بيننا وبينهم هذه الصلات إلا عن طريق الآباء والأمهات) (١) اهـ .

وحسبك أخي القارئ في الحديث عن صلة الرحم ما ذكرنا ، فصل رحمك ولا تقطعها بأعذار واهية فإنها من بر الوالدين بعد موتهما والله المستعان .

---

(١) كتاب «اللباب في البر والصلة والآداب» د/ المجتبى دمنهوري من علماء الأزهر .

- ومن حقهما أيضًا إنفاذ عهدهما والعهد هنا هو الوصية بمعنى أن من حق الوالدين على أبنائهم أن يقوموا بتنفيذ ما أوصوهم به سواء كانت الوصية مكتوبة أو شفوية وإهمال تنفيذها عقوق وجحود إلا إذا كانت في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

- ثم الأمر الأخير في هذا الحق إكرام صديقهما وذلك بالإحسان إليهم والسؤال عنهم وزيارتهم ومساعدتهم فكل ذلك من بر الوالدين وإليك هذا الحديث لتكون على بينة من أمرك .

- روي عن ابن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة وعمامة يشد بها رأسه فبينما هو يومًا على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال : ألست فلان بن فلان ؟ قال : بلى فأعطاه الحمار فقال اركب هذا وأعطاه العمامة ،

وقال : اشدد بها رأسك فقال له أصحابه : غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك ؟ فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى** » وإن أباه كان صديقًا لعمر رضي الله عنه [1] وهذا لفظ مسلم .

– هذا وقد تسأل أخي القارئ أن لي أقارب يسيئون إلي ويؤذونني فهل أصلهم ، وإن لم أفعل هل أكون قد قصرت في حق الوالدين وبرهما ؟ والإجابة على هذا السؤال تجدها واضحة جلية في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال : « **إن كنت كما قلت؟**

(١) أخرجه مسلم (٤/ بر/ ١٩٧٩/ ١٣) واللفظ له وأبو داود (٤/ ٥١٤٣) .

فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »[1] .

(ومعنى الملّ الرماد الحار أي كأنما بإحسانك إليهم وصبرك على أذاهم تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم كما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ، ولا شيء عليك لإحسانك وحلمك معهم حتى لو رفضوا، وينالهم في قطيعتك الإثم العظيم فضلاً عن أذاهم لك) .

هذه أخي القارئ أهم حقوق الآباء والأمهات على أبنائهم فضلاً عن توقيرهما وتعظيم شأنهما ، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما ، ولا يمشي الأبناء أمامهما ، ولا يدعوهما مجردًا باسمهما ، بل بيا أبي ويا أمي ، ولا يسافرون نافلة إلا بإذنهما ورضاهما والله المستعان .

---

(١) أخرجه مسلم (٤ / بر / ١٩٨٢ / ح٢٢) .

ثواب وفضل البر والإحسان في الدنيا والآخرة

لا ريب أن ثواب البر والإحسان للوالدين عظيم ، وفي الأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله ﷺ ما يضيق بها المقام في هذه العجالة نذكر منها ما يلى : -

١ - بر الوالدين قد يكون سببًا لإجابة الدعاء عند الأزمات ودليل ذلك ما حدث لأصحاب الغار ففيما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل ، فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها لله عز وجل صالحة ، فادعوا بها لعله يفرجها ، فقال أحدهم اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى ، فإذا

رحت عليهم فحلبت لهم بدأت بوالدي أسقيهما فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب ، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله تعالى لهم حتى رأو منها السماء)[1] .

وبدعاء الثلاثة خرجوا جميعًا وانزاحت الصخرة .

وهكذا أخي القارئ أن كنت بارًا بوالديك وأصابتك بلية من مرض أو ضائقة مالية أنت أو غيرك فقدم أفضل أعمالك التي أخلصت فيها النية لله تعالى وخصوصًا نحو والديك ، وادع وأنت موقن بالإجابة يجعل الله تعالى لك إن شاء الله من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا

---

(١) أخرجه البخارى٤/ ٢٢٧٢/ فتح واللفظ له ومسلم٤/ ذكر/ ٢٠٩٩/ ح/ ١٠٠

ويرزقك من حيث لا تحتسب .

قال تعالى : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ [النمل : ٦٢] .

٢ - بر الوالدين سبب في زيادة العمر للإنسان والبركة في الرزق . وذلك إذا عرف حق الرحم ولم يقطعه فهو كما ذكرنا سلفًا من بر الوالدين بعد موتهما وبصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما يبارك الله في عمر الواصل ورزقه والدليل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من سره أن يبسط له في رزقه ، وأن ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه** »[1] .

- ومعنى « ينسأ له في أثره » . . أي يؤخر له في أجله وعمره ، وقد تتساءل كيف يؤخر له في عمره والله

---

(١) أخرجه البخاري (١٠ / ٥٩٨٦/ فتح) ومسلم (٤/ بر/ ٢١/١٩٨٢) .

تعالى يقول: ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾[الاعراف : ٤٣] ، وهناك الكثير من الآيات في هذا المعنى . للإجابة على ذلك السؤال نذكر ما جاء في كتاب « اللباب في البر والصلة والآداب » ما نصه : (قد جمع أهل العلم بين هذا الحديث وبين هذه الآيات بوجوه من الجمع :

- منها أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب توفيق الله لمن يصل رحمه إلى طاعة ربه وعبادته والإقبال عليه .

- ومنها أن الزيادة على حقيقتها وذلك في الحديث بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالأعمار ، وأما ما دلت عليه الآيات فبالنسبة إلى علم الله تعالى . كأن يقال للملك مثلاً: إن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه وستون إن قطعها ، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي

في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي هو في علم الملك يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾[الرعد:٣٩]. فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في علم الله فلا محو فيه البتة ، ويقال له القضاء المبرم ويقال للأول القضاء المعلق .

- ومنها أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعًا كما يضمحل أثر قاطع الرحم فيذكرونه بالخير ويدعون له ويترحمون عليه .

- ومنها أن يكون للرجل الذرية الصالحة من بعده .

ولا مانع من تحقق هذه الوجوه كلها لبعض الواصلين لأرحامهم بحسب منازلهم في الصلة فكلما ازداد إحسانهم إلى أقاربهم ازداد إحسان الله إليهم وعطاؤه لهم وحصول بعضها دون بعض لغيرهم كل بحسب حاله) [1] اهـ.

---

(١) اللباب فى الصلة والبر والآداب . د / العجمى دمنهورى .

وكذلك يبارك الله في رزق الواصل لبره لوالديه فتعم السعادة على بيته وأهله ، ويقضي جميع حوائجه ويبارك له في أمواله وطعامه وشرابه وأولاده فيحدث له اكتفاء ورضا وقناعة وهذا غاية المرام ولله الحمد والمنة .. فضلاً عن ثواب الآخرة من النجاة من النار ودخول الجنة لتوقيره لهما وخفض جناح الذل من الرحمة في طاعتهما .. فتذكر ذلك أخي القارئ ولا تنس الحديث الصحيح الذي يقول فيه النبي ﷺ : **« رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر : أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة »** (1) .

فبر أباك وأمك يزيد عمرك ويبارك الله لك في رزقك ويدخلك لبرك إياهما الجنة .

---

(1) أخرجه مسلم (٤/ بر / ١٩٧٨ / ٩) .

وختامًا أخي القارئ ..

أوصيك وأوصى نفسي وأبناء جيلنا بهذه النصيحة العظيمة . وبالوالدين إحسانًا ، وأسأل الله تعالى أن يهدي الجميع لما يحبه ويرضى وأن ينزع الشيطان من بين قلوب الآباء والأمهات وفلذات أكبادهم ، وأن يختم للجميع بحسن الخاتمة في الدنيا والآخرة ، وأن يجعل هذا الجزء من السلسلة وثوابه في ميزان حسنات أبي وأمي رحمهما الله .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم أجمعين .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

سيد مبارك (أبو بلال)

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الفهرس